حزب الله.. القوة المتصاعدة وخطرها على الكيان الصهيوني

ستنشر صحيفة الوفاق مقالات للكاتب اللبناني الأستاذ في التاريخ السياسي المعاصر الدكتور حسن محمد إبراهيم حول القوة المتصاعدة لحزب الله وخطرها على وجود الكيان الصهيوني:

الوفاق

الحلقة الرابعة – تحرير جنوب لبنان في العام ٢٠٠٠

لا شكّ أن الحرب القائمة بين حزب الله والعدوّ الصهيوني هي امتداد لكل الحروب التي عجزت عن مواصلتها الدول العربية والإسلامية، منفردة أو متحدّة، أو أنها تخاذلت وتراجعت، لا بل هو القوّة العسكرية الوحيدة التي استطاعت أن تلحق بهذا العدوّ أكبر هزيمة، وأجبرته على التراجع، وذلك بالاندحار عن أول أرض عربية محتلّة تحت النار، وبعيدًا عن المفاوضات وعن فرض الشروط والإذعان كما هو حاصل في اتفاق كامب دايفيد بين العدو ومصر.

لقد شكّل انتصار حزب الله على العدوّ الصهيوني في عمليتي «تصفية الحساب» و«عناقيد الغضب» ومختلف العمليّات العسكرية اليومية على امتداد مرحلة الاحتلال، تراكمًا نوعيًّا، ومحط أخذ العِبَر، ودراسة نقاط الضعف، فاجتمعت جميعها لتكوّن مرتكز الانتصار الكبير في تحرير جنوب لبنان العام ٢٠٠٠.

وعلى امتداد (١٨) سنة من العمليّات العسكرية، والإعداد والتدريب والتجهيز والاستمرارية، وهذا ما اختلف به حزب الله عن بقية فصائل المقاومة اللبنانية والفلسطينية على حدّ سواء، وأيضًا من تأسيس علاقات سياسية وعسكرية مع سوريا والجمهورية الإسلامية الإيرانية، أدّى إلى تنامي القوة، فكانوا شركاء الانتصار كما أعلن السيد حسن نصر الله.

استفاد حزب الله من الدعم الإيراني الكبير والواسع، انطلاقًا من مبدأ ولاية الفقيه التي يُؤمِن بها انطلاقًا من الولاية للإمام الخميني(قدس)، ومن ثم الإمام السيد علي الخامنئي(دام ظله)، وهذا ما يتفاخر به على سائر الأمم، بالاتصال مع نائب الإمام المهدي(عج) وفق ما يعتقد به، وبعلاقات متميّزة مع قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومع حرس الثورة الإسلامية، وسجّل حضور بعض كبار الضباط للاستشارة والتدريب والتنسيق والدعم، فكان أبرزهم الشهيد قاسم سليماني الذي حضر إلى لبنان في العام ١٩٩٨، وتولّى تنسيق العلاقات بين حزب الله والحرس الثوري.

ما بين العام ١٩٩٦ والعام ٢٠٠٠، أربع سنوات من القتال شبه اليومي، مع مرتكزات بنيوية عسكرية واجتماعية واقتصادية وتربوية، أسّست لتنامي البيئة الحاضنة، التي توسّعت شيئًا فشيئًا، وراحت تؤسّس هي بدورها لمجتمع مقاوم يحتضن المقاومة، ليكون شريكًا كاملًا في الانتصار وما بعد الانتصار.

أجبرت المقاومة الإسلامية في لبنان القيادة السياسيّة الصهيونية على الانسحاب القسري، فقد قدّم «إيهودا باراك» برنامجه الانتخابي للعام ١٩٩٩، على أساس الانسحاب العسكري، وهذا ما دفع بالعديد من القيادات السياسيّة والعسكريّة للموافقة عليه، وأدّى إلى كسب رأي المستوطنين، وهو ما أعطاه تفوّقًا انتخابيًّا للفوز برئاسة الحكومة الصهيونية، على قاعدة الخروج من الوحل اللبناني، والابتعاد عن ضربات المقاومة، فهذه «المرة الأولى الذي يصبح الشعار الانتخابي التزامًا سياسيًّا، فرضته الوقائع الميدانيّة في الجنوب».

ففي ٢١ أيار بدأ العدوّ الصهيوني الاندحار من الأراضي اللبنانية، ولم تسمح له المقاومة حتى بالانسحاب الهادئ، إنما أمطرته بالعمليّات العسكريّة على امتداد المحاور، وسار المجاهدون خطوة خطوة، يكبّدون الاحتلال الخسائر البشريّة والماديّة، تحت إشراف غرفة العمليّات، وتخطيط تامّ ودراسة ميدانيّة تفصيلية. وقد باغتت المقاومة الإسلامية العدوّ الصهيوني وفرضت عليه الانسحاب الذليل بعد أن كان «يخطط ليكون انسحابه بعد عدة أسابيع، ويسلّم تدريجيًّا مواقعه لميليشيا لحد، ويحتفظ ببعض المواقع كقلعة الشقيف والدبشة وبعض المواقع الحدودية».

اعتلى السيد حسن نصر الله منبر الانتصار في ملعب مدينة بنت جبيل، في أجواء أربعينية الإمام الحسين(ع)، فأكّد «من جديد مقولته وخطّه (الإمام الحسين(ع))، لنثبت من جديد أنّ الدم هنا ينتصر على السيف، وأنّ الدم هنا قهر السيف وهزمه، وأنّ الدم هنا حطّم كل قيد، وأنّ الدم هنا أذلّ كل طاغية ومستكبر»، وأوضح أن النصر صنعته المقاومة والشعب اللبناني، وأشاد «بالموقف الرسمي العام وخصوصًا في ظل هذا العهد، عهد فخامة الرئيس العماد إميل لحود، وفي ظل هذه الحكومة، حكومة دولة الرئيس سليم الحص»، وهناك «رجلان يجب أن يُذكرا، وهناك دولتان يجب أن يُعترف لهما بالفضل وأن يُنسب النصر إليهما أيضاً، هما الجمهوريّة الإسلامية وسوريا الأسد، والقائد الإمام الخامنئي والرئيس حافظ الأسد"، وأهدى النصر لكل اللبنانيّين، وشدّد على «أننا في حزب الله لسنا في وارد أن نكون بديلاً عن الدولة".

لقد حفر خطاب النصر عميقًا في الوجدان الصهيوني، لا سيّما عبارته المشهورة «إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت» التي أثّرت في مختلف القيادات الصهيونية، وقطعان المستوطنين، فكان أبرز شعار حضر في اجتياح العام ٢٠٠٦، عندما فشل العدو في الوصول إلى الملعب نفسه من أجل رفع العلم الصهيوني، وكذلك بنيامين نتنياهو الذي عاش أزمة حقيقية، ترجمتها مقولته في محاولة اجتياح ٢٠٢٤.

إلى ذلك، فإنه يمكن قراءة سريعة لأبرز إنجازات تحرير العام ٢٠٠٠، بما شكّلته قوة حزب الله المتنامية والمتصاعدة على مدى (١٨) سنة، من الجهد والعطاء والجهاد والتضحيات، والعمل الدؤوب، السرّي والعلني:

- إلحاق أول هزيمة للصهاينة منذ تأسيس الكيان الغاصب في العام ١٩٤٨.
- انكسار فكرة إقامة «دولة الصهاينة الكبرى».
- تحقيق أول انتصار عربي وإسلامي على الكيان الصهيوني، لكن من قلّة قليلة في العالمَيْن العربي والإسلامي.
- تقديم صورة حقيقية عن وَهْن الكيان الصهيوني.
- دخول حزب الله إلى الساحة العربية والإسلامية والدولية من الباب العريض.
- انتشار سمعة حزب الله وصيته في مختلف الدول.
- النظرة الشعبية العربية والإسلامية على أن حزب الله هو مقاومة يمكن أن تكون قدوة ونموذجًا يُحتذى به.
- تأسيس مشروع محور المقاومة بالارتكاز إلى نقاط القوة التي أسّس لها حزب الله وعمل عليها، ونقل التجربة إلى مختلف البلاد العربية والإسلامية.
- أظهر لبنان أنه بحال انسجم الفريق الحكومي مع رئاسة الجمهورية ورئاسة المجلس النيابي، وتوجيه الجيش اللبناني وفق عقيدة العداء للكيان الصهيوني، وبالتنسيق مع المقاومة، فإنه يحقّق إنجازات ضخمة، وهذا ما يمكن اعتماده نموذجًا في بعض الدول التي تتعرّض للاحتلال من قوة خارجية.
- تحرير معظم الأراضي اللبنانية من نير الاحتلال الصهيوني الذي دام لأكثر من (٢٢) سنة.
- إنهاء مفاوضات «الأرض مقابل السلام»، أو ما يمكن تسميتها مفاوضات الاستسلام والإذعان، بين لبنان وسوريا من جهة، والعدو الصهيوني من جهة أخرى.
- تحرير الإرادة اللبنانية من الخضوع للضغط في المفاوضات مع العدو الصهيوني.
- تحرير سوريا من الضغوط الدولية في المفاوضات.
- التأسيس لمرحلة جديدة من التوازن الإقليمي بين حزب الله والعدو الصهيوني، كانت ترجمته في اجتياح العام ٢٠٠٦.

شكّل انتصار حزب الله على العدوّ الصهيوني في عمليتي «تصفية الحساب» و«عناقيد الغضب» ومختلف العمليّات اليومية على امتداد مرحلة الاحتلال، تراكمًا نوعيًّا، ومحط أخذ العِبَر، ودراسة نقاط الضعف، لتكوّن مرتكز الانتصار الكبير في تحرير جنوب لبنان العام ٢٠٠٠

يُتبع...

بيروت.. دفتر واجبات جهاد (الجزء الثاني عشر)

الوفاق
د. محمد علي صنوبري

ستنشر «الوفاق» على عدة حلقات مشاهداتها الخاصة من بيروت كتبها لها الدكتور محمد علي صنوبري رئيس تحرير مركز الرؤية الجديدة للدراسات الاستراتيجية، وفيما يلي الجزء الثاني عشر من هذه السلسلة:

لقد أوصى الأصدقاء اللبنانيون بأن أسكن في مناطق آمنة من المدينة. كان الفندق الذي أقيم فيه يقع في منطقة قريبة من منزل السيد نبيه بري، رئيس مجلس النواب اللبناني وزعيم حركة أمل.

وفقاً للتقسيم الطائفي في لبنان، فإن حصة الشيعة في السلطة هي رئاسة مجلس النواب، بالطبع، هذا التقسيم قديم ويعود إلى عام ١٩٤٣. ووفقاً للإحصائيات الحيوية والديموغرافية، يشكل الشيعة النسبة الأكبر من السكان في لبنان. وهكذا، فإن رئيس الوزراء، الذي يمثل أعلى سلطة في البلاد، يُعطى لأهل السنة، بينما رئاسة الجمهورية، تُعطى للمسيحيين.

في الفندق الذي أقيم فيه، لاحظت ظواهر مثيرة للاهتمام. من وجهة نظر علم الاجتماع السياسي وعلم النفس الاجتماعي، وهما من بين تخصصاتي ومجالات دراستي، كان الفندق نموذجاً جديراً بالملاحظة والدراسة.

الكثير من الأشخاص الذين أقاموا في هذا الفندق كانوا من الذين كانت أماكن سكنهم في مناطق خطرة مثل الضاحية أو صور أو البقاع وغيرها. حاولت أن أبدأ مقابلاتي واستطلاعاتي الفكرية دون أن أثير حساسيتهم.

لذلك، غلفت كاميرتي واستعددت لسماع وتدوين آرائهم بأذني، وقد بدأت مع جهاد، وهو طفل يبلغ من العمر ٩ سنوات كان دائماً يكتب واجباته في الردهة أو ممر الفندق. سألته: ما اسمك؟ قال: جهاد. فقلت: من أين أتيت؟ قال: من الضاحية. فسألته: لماذا جئت إلى الفندق؟ قال: جئت مع عائلتي، والدي ووالدتي وصالح أخي ونَدا خالتي.

وتابع: الكيان الصهيوني يريد تدمير جميع منازلنا، جئنا إلى الفندق حتى إذا ضربوا منزلنا بالصواريخ نبقى نحن على قيد الحياة.

فسألته: غير الكيان الصهيوني، من تكره أيضاً؟ قال: أمريكا، لأن صواريخ الكيان الصهيوني في غزة نفدت وأمريكا تمد الكيان الصهيوني بالصواريخ. فقلت: ومن غيرهم تكره؟ قال: صالح! سألت: أخوك؟ أجاب ضاحكاً: نعم. فقلت: لماذا؟ قال: لأنه دائماً يأخذ واجباتي من المعلم عبر الواتساب ويعطيني أياها لكي أنجزها! بعدها فتح باب إحدى الغرف وخرج صالح، وهو شاب يبلغ من العمر ٢٠ عاماً، طويل القامة، وسيم المظهر، يبدو متديناً ويشبه مجاهدي حزب الله، ثم قال: جهاد اكتب واجباتك! فقدمت نفسي وقلت إنني جئت من إيران وأنا أقوم بتوثيق الأحداث وجهاد يساعدني في ذلك، وقلت إن لدي أيضاً ابناً يبلغ من العمر ٩ سنوات يدعى علي وجهاد يذكرني بعلي.

فقال صالح: هل زرت الضاحية؟ قلت: ثلاث مرات! قال: هل تريد أن آخذك إلى هناك؟ قلت: الأفضل أن تخبرني عن الوضع هناك، عن ردود فعل الناس بشأن مغادرة المنازل والتهجير.

قال صالح: بعض الناس ذهبوا إلى الشمال واستأجروا بيوتاً هناك. وبعضهم استقر في بيروت أو الشمال في منازل أقاربهم،أو في فنادق في بيروت، والبعض ذهب خارج لبنان.

فقلت: حسناً، يبدو أن وضعكم جيد، فضحك صالح ضحكة مصطنعة وقال: نعم، ربما! فسألت: كيف هو الوضع يا صالح؟ هل لديك شكوى من الوضع الحالي؟ قال: أرواحنا جميعاً فداء للسيد.

ما زلنا نأمل أن يكون حياً وأن يكون كل هذا خدعة للعدو. ولكن إذا كان قد استشهد، فلتكن أرواحنا جميعاً فداء لمرقده.

في هذه الأثناء، جاءت نَدا (خالة جهاد) وعانقت جهاد وصالح وقبلتهما. وعلى عكس مظهر صالح، كانت نَدا سيدة تبلغ من العمر حوالي ٥٠ عاماً.

فقلت: لديك ابنا أخت رائعان، حفظهما الله. فشكرتني. وقلت: أنا إيراني، فرددت بنبرة محايدة: سلام فرمانده!! فقلت: يبدو أن الكثيرين يعرفون إيران بسلام فرمانده، ثم سألتها: كيف هو وضعكم؟ قالت: أنا هنا في الغرفة المجاورة مع أختي وزوجي منذ شهر. لدي ابنان كلاهما يعملان ويعيشان خارج لبنان.

كان منزلي بالضبط في المكان الذي استهدف فيه الشهيد السيد هاشم صفي الدين. فسألت: هل تودين إجراء مقابلة معي؟ قالت: ربما لن تعجبك آرائي.

فقلت: هل رأيك مختلف عن صالح؟ قالت: نعم ، فسألتها: هل يمكنك التكلم بوضوح أكثر؟ قالت: أنا أيضاً مؤيدة لحزب الله والمقاومة، وأعادي الكيان الصهيوني، لكنني غاضبة الآن لأن منزلي قد دمر! وتابعت: هل كنت أحمل سلاحاً...

ثم ودعت الخالة وذهبت، فقال صالح: أنا أحب خالتي كثيراً، لكنها متأثرة بإحدى القنوات وأصدقائها الذين تعرفت عليهم في النادي وقال إنها لا تحمل غلاً في قلبها وعندما سمعت خبر استشهاد السيد حسن نصرالله بكت بكاءاً شديداً.

بعدها ودعني صالح وجهاد وذهبا لكن دفتر واجبات جهاد بقي معي وكنت أحدق بالأسطر التي كان يكتبها وأقرأ ما بين السطور!

يُتبع...